

ذباباً مدمناً، وكانت الواحدة منه تجنّ بنقطة كاشاساً، تدخل القدح، فتتذوق نصيبها الصغير منه، ثم تطير وهي تطنّ كالخنافس. ولم تكن هنالك وسيلة لإقناع «ألونزو»، الإسباني العنيد، بالتخلّص من الدويبات التعيسة، كان يقول، وبحق، إنه اشترى الحانة مع الذباب، وإنه لن يتخلى عنها لمجرد أنها تغرم بالشراب. فما ذاك بالسبب الكافي، فزبائنه كلهم مغرمون أيضاً بالشراب، وهو لن يقدم على طردهم بسبب ذلك.

وإنني لأجهل ما إذا كان الخلاسي «بورسينكولا» قد غير موضعه، ليكون أشدّ قرباً من ضوء مصباح النفط، أم إنه كان مذ ذاك ينوي أن يقص حكاية «تيريزا باتيستا» (Teresa Batista) ورهانها. في ذلك المساء كان الضوء، كما سبق لي أن بيّنت، مقطوعاً عن هذه المنطقة من الرصيف البحري، فأشعل «ألونزو» المصباح وهو يغمغم. كانت تساوره رغبة في أن يطردهم كلهم خارجاً، غير أنه لم يكن يسهه ذلك. كان ينهل رذاذ خفيف ناعم، يبلل أكثر مما يفعل الماء المبارك، وينفذ إلى اللحم وإلى العظام. كان «ألونزو» إسبانياً قد أحسنت تربيته، وتعلم الكثير عن مهنته كصبيّ يخدم في فندق. وعلى ذلك فقد أشعل المصباح وبدأ يضبط حساباته بهدوءٍ ببقية من قلم. وكان الكلام يدور عن هذا وذاك، وتنطلق الشتائم على الذباب، ويقفز الحضور من موضوع إلى آخر، تزجية للوقت كلّما قدرنا، إلى أن أبدل «بورسينكولا» موضعه، وغمغم «غرينغو» بتلك الحفاقة حول عيد الميلاد، وما لا أدري عن الثلج وعن أشجار مضاءة. وما كان «لبورسينكولا» أن يدع فرصة مماثلةً تفوته.

فطرد الذباب، ونهل جرعة «كاشاسا» وأعلن بصوته العذب: